أولا– أصـــل التسـمـيـة :

يستمد هذا **الرافد المائي**[1] (نهر شلف)تسميته هذه من مدينة شلف وهذا بإجماع من رحالة وجغرافي العصر الوسيط الذين تناولوا أصل تسميته، كصاحب كتاب الإستبصار والذي ينسبه لهذه المدينة بقوله: " نهر شلف وهو نهر كبير مشهور، وعلى نهر شلف مدينة قديمة أزلية فيها آثار أولية تسمى شلف، وإليها ينسب النّهر الكبير"[2]، وهو نفس ما ذهب إليه الحميري بقوله:" نهر بالمغرب مشهور قرب مليانة وعليه مدينة قديمة أزلية فيها آثار أولية، كانت تسمى شلف، وإليها ينسب هذا النهر"[3].

ومنه فأصل التسمية كان محل إجماع من هؤلاء الرحالة والجغرافيون بنسبه لمدينة شلف، غير أن هذا النهر[4] جاء بتسميات مختلفة في بعض المصادر والمراجع التاريخية، لكن هذا الإختلاف كان في التسمية لا في أصل التسمية، وهذا على أغلب الظن يرجع لعوامل عدة كعامل اللغة ويظهر هذا عند بطليموس والذي يسميه بنهر **كرطين**[5]، كما يمكن أن يرجع هذا الإختلاف إلى عامل اللهجات المحلية ويظهر هذا عند أبي الفداء صاحب حماه الذي ذكره بنهر **سَلَفَ** بالسين بدل شلف بالشين بقوله:"مدينة مستغانم ويصب في شرقيها نهر سَلَفَ"[6]، كما تكون الأحداث والوقائع التاريخية التي دارت في مجال هذا الرافد المائي، قد لعبت دورا كبيرا في ظهور تسميات جديدة له، فعلى سبيل المثال أطلق البربر عليه تسمية **وادي المحن** في فترات تاريخية معينة مرجعين ذلك لكثرة هزيمة ومقتل ملوك زناته فيه[7]، وهذه التسميات التي ورد ذكرها لا تعدوا أن تكون مجرد تسميات تخص أصحابها الذين قالوا بها، مادام أن أغلب كتب الرحلة والجغرافية والتاريخ التي كان هذا الرافد المائي موضوعا لها أجمعت على تسميته بنهر شلف.

---

[1]– **الرافد المائي**: يطلق على النهر، حيث نجد بن منظور يسمي نهري دجلة والفرات بالرافدان ؛ أنظر– أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكر بن منظور الإفريقي المصري (ت.711هـ): **لسان العرب**، تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخران، دار المعارف، القاهرة، د.ت، ج19، ص1688.

[2]– مؤلف مجهول: **الإستبصار في عجائب الأمصار (وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب)**، تحقيق: سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، د.ت، ص171.

[3]– محمد بن عبد المنعم الحميري: **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق :إحسان عباد، ط2، مكتبة لبنان، بيروت، 1984، ص343.

[4]– **النّهر**: بفتح النون المشددة وسكون الهاء وفتحها، والأنهر هو الأخدود الذي يجري فيه الماء إذا كان فوق الأرض،ويطلق النهر على ذات الماء الجاري في الأخدود ؛ أنظر.محمد عمارة : **قاموس المصطلحات الإقتصادية في الحضارة الإسلامية**، ط1، دار الشروق، القاهرة ، 1993، ص615.

[5]– مرمول كربخال: **إفريقيا**، ترجمة: محمد حجي وأخرون، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرباط، 1984، ج1، ص38 .

[6]– عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر أبي الفداء صاحب حماه (ت.732هـ): **تقويم البلدان** ، تحقيق :رينود و ماك كوكين ديسلان، دار صادر، بيروت، د.ت، ص126.

[7]– إبن عذارى المراكشي: **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق: كولان و ليفي بروفنسال، ط1، دار الثقافة، بيروت، 1983، ج1، ص266.

ثانيا– الموقع الجغرافي :

يقع **نهر شلف** في المغرب الأوسط وهو أكبر أنهار هذا الإقليم [1]، جعله موسى بن نصير عند إستكماله فتح بلاد المغرب، حد طبيعي فصل به ولاية إفريقية عن ولاية المغرب الأوسط الجديدة التي أنشأها في الأراضي الممتدة من هذا النهر شرقا إلى **نهر الملوية**[2] غربا[3]، كما ذكر الرقيق القيرواني موقعه حيث إعتبره نهر بأرض البربر على ساحل من تيهرت[4]، وهذه الأخيرة من أكبر مدن المغرب الأوسط.

ومنه فلا يختلف إثنان على أنه نهر ببلاد المغرب الأوسط، لكن موطن الإختلاف بين المؤرخين والرحالة والجغرافين يكمن في تحديد منبعه، حيث يري بن وردان أنه من جبال **الأوراس** [5]في الشرق [6]، وهذا غير صحيح لأن هذه الجبال بعيدة عن خط سير نهر شلف، وهناك من يرجعه إلى وسط الصحراء وبالتحديد من بلد راشد [7]، وبالضبط من جبال عمور (بني راشد) في الأطلس الصحراوي[8]، كما أن هناك من يرجعه إلى جبل **وانشريس**[9] لينحدر منه إلى السهول التي تقع أسفله[10].

---

[1] – أمين واصف بيك: **معجم الخريطة التاريخية للممالك الإسلامية**، تحقيق: أحمد زكي باشا، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1998، ص110.

[2] نهر الملوية: نهر كبير ينبع من الأطلس يجتاز سهول وعرة حتى يصل جبل بني يزناسن ومنه إلى البحر المتوسط ومصبه لا يبعد كثيرا عن مدينة غساسة ؛ أنظر– الحسن بن محمد الوزان الفاسي (ت.956هـ.): **وصف إفريقيا**، ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، دار الغرب، الإسلامي، 1983، ج2، ص250.

[3] – حسين مؤنس: **معالم تاريخ المغرب ولأندلس**، دار الرشاد، القاهرة، 2004، ص60.

[4] – أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم الرقيق القيرواني(ت.بعد 415هـ): **تاريخ إفريقية والمغرب**، تحقيق : عبد الله العلي الزيدان وعز الدين عمر موسى، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990، ص74.

[5] – **الأوراس**: جبل بإفريقة (يقصد ولاية إفريقية لأن منطقة الأوراس تابعة لها) فيه عدة بلاد وقبائل من البربر ؛ صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي (ت.739هـ): **مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع**،تحقيق:علي محمد البجاوي،ط1،دار الجبل، بيروت، 1992، ج1، ص130.

[6] – إبن وردان: **تاريخ مملكة الأغالبة**، تحقيق: محمد زينهم محمد عزب، مكتبة مدبولي، ط1، القاهرة، 1988، ص12.

[7] – أبو زكريا يحي بن أبي بكر محمد بن محمد بن الحسن بن خلدون: **بغيبة الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**، تحقيق: بوزياني الدراجي، ج2، دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع، 2007، ص49 ؛ وعبد الرحمان بن خلدون (ت.808هـ): **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، تحقيق: خليل شحاة وسهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2000، ج6، ص134

[8] – شوقي ضيف: **عصر الدول والإمارات (الجزائر، المغرب الأقصى، موريتانيا، السودان)**، ط1، دار المعارف، القاهرة، 1995، ص20.

[9] – **وانشريس**: بالنون وشينين معجمتين، وراء بينهما ثم ياء، وهو جبل بين مليانة وتلمسان من نواحي المغرب، ينسب إليه محمد بن عبد الله الونشريسي حليف محمد بن تومرت في دعوته ؛ شهاب الدين بن أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي(**ت**.626هـ): **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، 1977، ج5، ص355.

[10]– أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي(ت.640هـ): **الجغرافيا**، تحقيق: إسماعيل العربي، ط1، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1970، ص 141، وصاحب حماه: المصدر السابق، ص66 ؛ ومرمول كربخال: المرجع السابق، ج1، ص38.

ومنه بإستثناء الرأي القائل بأن نهر شلف ينبع من جبال الأوراس فبقية الآراء صحيحة، وهو بالتالي **ينبع** من جبال عمور ببلد راشد والتي ينحدر منهما جدولان يشكلان واد الطويل، ويواصل **سيره** إلى الشمال تصب فيه أودية كثيرة ويخترق منطقة الأطلس التلي، ويتجه إلى الشرق قاطعا سهل سرسو وهنا تصب في ضفته اليمنى عدة جداول، ويغير إتجاهه إلى الشمال وعند مدينة مليانة جنوبي شرشال يتجه إلى الغرب، حتى يصل إلى **مستغانم**[1] [2]، التي يفصل بينها وبين قريـــة **مزغران**[3] **ليصب** في البحر المتوسط[4]، لكن بن خلدون يرى أنه يمر بين يمر بين كلمتين ومستغانم قبل وصوله للبحر بقوله: "وادي شلف....يصب في البحر الرومي ما بين كلمتين ومستغانم"[5].

أما فيما يخص **طول** نهر شلف فلم تتحدث المصادر الوسيطية عن رقم لطول هذا النهر إلا أنها وصفته بالطول والعظم، كما وصفه بن خلدون بقوله:" وادي شلف بني واطيل النهر الأعظم"[6]، كما حذا حذوه أبي زكريا زكريا يحي بن خلدون بقوله:"شلف نهر ذو إمتداد وطوله يفوق بقية الأنهر في المغرب الأوسط"[7]، وكذلك يظهر لنا لنا مدى طول هذا النهر، من خلال المسافة التي يقطعها من جبال عمور في الأطلس الصحراوي حتى مصبه في البحر المتوسط، دون نسيان مساره المتموج كما سبق التطرق إليه سالفا وهذا كفيل بتوضيح مدى طول.

وهو من الروافد المائية القليلة الصالحة للملاحة في المغرب الأوسط فقد كانت تسير في أجزاء منه السفن التي تناسب عمقه وعرضه[8] ومما لاشك فيه أن قابلية هذا النهر للملاحة كانت ذي فائدة من الناحية الإقتصادية لساكنة مجال نهر شلف.

---

[1]– **مستغانم** :مدينة بقرب نهر شلف بينها وبين وقلعة مغيلة دلول مسيرة يومين وهي مدينة مسورة ذات عيون وبساتين وطواحين الماء ؛ الحميري: المصدر السابق، ص558.

[2] – سليمان بن عبد الله الباروني النفوسي: **الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية**، مطبعة الأزهار البارونية، مصر، د.ت، ج2، ص30. وشوقي ضيف: المرجع السابق، ص20.

[3] – **مزغران**:أو تامزغران وهي مدينة بالقرب من مصب نهر شلف في البحر بينها وبين مستغانم ثلاثة أميال، وهي مدينة مسورة ولها مسجد جامع تقع بالقرب من قلعة هوارة ؛ الحميري: المصدر السابق، ص128.

[4] – الحسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص251.

[5] – إبن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص134.

[6] –إبن خلدون : المصدر السابق، ج6، ص134.

[7]– أبو زكريا يحي بن خلدون: المرجع السابق، ج2، ص49.

[8]– مبارك بن محمد الميلي: **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، تقديم وتصحيح: محمد الميلي، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986، ج1، ص50.

ثالثـا– أوديــة نهـــر شـــــلـف :

يتغذى النهر من عدة أودية ومن الينابيع التي تنبع من حوافي الصحراء[1]،وهذا هو حال نهر شلف في الفترة الوسيطية، ونجد هذا عند بن خلدون بقوله:" ويجتمع فيه سائر أودية المغرب الأوسط"[2]، وأهم هذه الأودية نجد:

1ـ واد ميـــنـــــة (مينـــاس):

يعتبر من أهم وأكبر أودية المغرب الأوسط، وهو من الأودية التي تغذي وتصب في نهر شلف[3]، وهناك من يطلق عليه صفة النهر ربما لكبره، فقد غلب من وصفه بالنهر على من وصفه بالواد، ويسميه بطليموس بنهر **قلماط**[4]، وينبع نهر مينة من تسلونت[5]، وينحدر من الجبال المجاورة لتقدمت ليمر عبر سهل مدينة **البطحاء**[6]، ثم ثم يتجه إلى الشمال[7]، وهو قبلة تيهرت[8]، وهذه الأخيرة من المدن التي قامت على ضفاف هذا الوادي ومما لا شك فيه أنه من أهم عوامل إزدهار هذه الحاضرة في العصر الوسيط خاصة عهد الدولة الرستمية.

2– واد واصل:

يطلق عليه كذلك صفة النهر ربما لكبر حجمه، وهو من الأودية المغذية لنهر شلف يخترق هذا الواد سهول **السرسو**[9]، وقد تناولته بعض المصنفات التاريخية بتسمية نهر واسل، بالسين بدل الصاد، كما إرتبط إسمه

---

[1]– بيار جورج: **معجم المصطلحات الجغرافية**: ترجمة: محمد الطفيلي، ط2، المؤسسة الجامعية للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع، الحمراء، 2002، ص871-872.

[2]– إبن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص134.

[3]– إبن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص 134.

[4]– مارمول كربخال: المصدر السابق، ج1، ص38.

[5]– جودت عبد الكريم يوسف: **الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين** (9-10م)، ديوان المطبوعات الجامعية، 1992، الجزائر، ص57.

[6]– **البطحاء** : مدينة بالمغرب قرب تلمسان بينهما مسيرة ثلاثة أو أربعة أيام؛ ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج1، ص446.

[7]– حسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص251.

[8]– جودت عبد الكريم يوسف: المرجع السابق، ص57.

[9]– **السرسو** : هو السهل الممتد حول تيهرت، شمال جبل كريكرة، وجنوب جبل وانشريس؛ أبي زكريا يحي بن خلدون: المصدر السابق، ج2،ص182. ج2،ص182.

بأحد أهم وأكبر المعارك بين الجيش الزيري بقيادة باديس بن المنصور والجيش الحمادي بقيادة حماد بن بلكين والتي إنتهت بـهزيمة هذا الأخيـر[1].

3- واد أسـلـــي :

يطلق عليه هو الأخر صفة النهر وهو من أودية المغرب الأوسط، والتي تكون نهر شلف، يخترق واد أسلي منطقة سوق إبراهيم [2]، الواقعة بالمجال الجغرافي لنهر شلف ومما لا شك فيه أنّ هذا الواد، هو السبب الرئيس الرئيس في إزدهار مدينة سوق إبراهيم في العصر الوسيط، فهذه الأخيرة وساكنتها يكونان قد إستفادا من مياهه في الكثير من الأنشطة الإقتصادية المتعلقة بحياتهم اليومية.

4- نهـــر الخضـــراء:

يطلق عليه كذلك صفة النهر ،وهو واد يمر بإقليم مدينة الخضراء (عين الدفلة حاليا) وذكرته المصادر بغزارة مياهه ، بأن "مدينة الخَضراء .....على نهر خرار عليه الأرحاء وإذا حمل دخل المدينة "[3]، التي يمر بإقليمها ومنه فهو من أكبر الأودية المغذية لنهر شلف، ويكون من المؤكد أنه ساهم في تلبية حاجيات سكان ومزارعي الخضراء ونواحيها.

5- واد الطويل:

من أودية المغرب الأوسط وهو من الأودية التى تغذي نهر شلف، ويتشكل واد الطويل من جدولان ينحدران من جبال عمور وعند إلتقائهما يأخذ هذا الواد إسمه، وهو يتجه من هذه الجبال في جنوب المغرب الأوسط إلى الشرق أي خط سيره نحو الشرق [4].

وما يلفت الإنتباه أن أغلب المادة المصدرية والمراجع، التي تعاملت معها لم تتناول الأودية المكونة لهذا الرافد المائي (نهر شلف) في الفترة الوسيطية عدا ما سبق ذكره، في حين ذكرت أودية قريبة من مجاله كوادي تاتش

---

[1]- رشيد بورويبة: **الدولة الحمادية** تاريخها وحضارتها، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1977، ص24.

[2]- مبارك بن محمد الميلي: المرجع السابق، ج2، ص108-109.

[3]- أبي عبيد البكري (ت.487هـ): **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب** (جزء من كتاب المسالك والممالك)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ت، ص75.

[4]- سليمان بن عبد الله الباروني: المرجع السابق، ص30.

بتيهرت، والذي هو على مقربة من وادي مينة [1]، وكذلك تحدثت الكثير منها عن وادي **سيرات**، وهو نهر كبير مشهور يقع من البحر على مقربة من مصب واد شلف في البحر المتوسط [2]، وواد **تناتين** الذي بنيت عليه مدينة تنس [3]، التي لا تبعد الكثير عن مدن وقرى ومجرى نهر شلف، وبدون وجود نص تاريخي صريح، لا يمكن الجزم بأن أحد هذه الأودية، من أودية نهر شلف وقد ذكرت أسماء بعضها في كتب التاريخ العام الغير المتخصص، تنسبها لنهر شلف وهذه الأودية بالفعل في مجاله، لكن لا نعرف هل هذه الأسماء هي نفسها في الفترة الوسيطية أم هي تسميات حديثة كوادي حكوم، وادي ورك، وادي دردار، وادي ريو، وادي هابرة [4].

وخلاصة القول أن أصل تسميته بنهر شلف ترجع لمدينة شلف التي بنيت على ضفافه، وهو نهر في بلاد المغرب الأوسط، ينبع من من جبال عمور ويصب بالبحر المتوسط بالقرب من مستغانم، وهو كبير نسبيا نظرا لطول المسافة من منبعه إلى مصبه، وتصب وتتفرع عنه عديد الأودية التي أغفلت المصادر الكثير منها ومن أهم أوديته نجد وادي مينة ووادي الطويل ووادي واصل وغيرهم.

[1]- البكري: المصدر السابق، ص66.

[2]- جودت عبد الكريم يوسف: المرجع السابق، ص59.

[3]- مبارك بن محمد الميلي:المرجع السابق، ج2، ص109.

[4]- أحمد توفيق المدني: **كتاب الجزائر**، المطبعة العربية، الجزائر، 1931، ص172.